بحث عام | قسم الدراسات الدينية | 10 أكتوبر 2017

«خطيئة» داود في الفكر السّنّيّ القديم

علي المخلبي
باحث تونسي

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2017
All rights reserved © 2017

الملخّص:

يقوم الفكر الدّينيّ الإسلاميّ على تأكيد عصمة الأنبياء عندما يتعلّق الأمر بتعديد أركان الإيمان، وهو ركن الإيمان بالأنبياء والرّسل، غير أنّ تعامل المفسّرين وأصحاب قصص الأنبياء مع بعض ما ينسب إلى الأنبياء من أخطاء في العهد القديم، وما يذكره القرآن عن ذلك من إشارات، يوقع الفكر الدّينيّ في حرج الجمع بين القول بالعصمة وضرورة التعامل مع الإشارات القرآنيّة إلى الذّنب، وتعمل هذه الدراسة على الإجابة عن سؤال مركزيّ: كيف يمكن أن نفهم إجابات أهل السنّة عن قضيّة ذنب داود، الّذي يشير إليه القرآن بوضوح، في أفق القول بالعصمة؟

وقد قدّمت الدّراسة ثلاث إجابات تدرّجت من إعادة صياغة لما جاء في العهد القديم (يرفع عن داود ذنب الزّنى، ولا يُنسب إليه إلّا التّحيّل لقتل أوريا، وهذا سبب استغفاره المذكور في القرآن)، وصولًا إلى إعادة تأويل كلّيّ للخطيئة (استغفار داود راجع إلى حلمه، أو إلى محاسبته لنفسه، أو إلى رحمته بالمؤمنين)، مرورًا بتأويل جزئيّ لها (ذنبه ترك الأَوْلى، وترك الأوْلى خطيئة الرّسل المقرّبين).

وخرجت الدّراسة بنتائج شملت قضايا تتعلّق **بالدّينيّ** (القول بعصمة النبيّ عند أهل السنّة، وكيف تأسّست من خلال تعامل المفسّرين مع سورة ص، والفرق بين الخطاب الدّينيّ «العالم» أو الحجاجي، والخطاب الدّينيّ العامّي أو الوعظيّ، وكيفيّة التّعامل مع نصوص أهل الكتاب أو «الإسرائيليّات»)، **والتّاريخيّ** (اعتبار ما جاء عن أهل الكتاب خاطئًا محرّفًا لا يليق بأنبياء الله، وضرورة أن تكون صورة التاريخ القديم وصورة الأنبياء القدماء، دون صورة تاريخ الدولة الإسلاميّة التي تعبّر عن {كُنتُمْ **خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** تَأْمُرُونَ **بِالْمَعْرُوفِ** وَتَنْهَوْنَ **عَنِ الْمُنكَرِ**}، **والسّياسيّ** (التّناقض الكبير بين الحكمة والتّقوى اللّتين ينبغي أن تكونا للحاكم المؤيّد بالوحي، وبين واقع الحكّام الذين وجدوا في الدولة الإسلاميّة).

المقدّمة:

اعتنى النّصّ القرآنيّ - ومن بعده النّصّ الثّقافيّ الإسلاميّ - بقصص الأنبياء، ونُظر إليها على أنّها جزء من عقيدة المسلم؛ فمن أركان الإيمان الإسلاميّ أن يؤمن المسلم بجميع الأنبياء، وأن لا يفرّق في إيمانه هذا بينهم، وإنْ فضّل القرآن بعض الأنبياء على بعضهم الآخر[1]، ويحتلّ داود مكانة مميّزة في هرم التفاضل بين الأنبياء في العقيدة الإسلاميّة، فرغم أنّه ليس من الرّسل أولي العزم[2]؛ فإنّه الوحيد - بعد آدم من خوطب بالخليفة، وهو ما يلحق منزلته بمنزلة البداية المقدّسة الأولى منزلة آدم؛ بل إنّ من الرّوايات

1 يفاضل الله في القرآن بين الرّسل [البقرة: 253]، لكن على المسلمين أن لا يميّزوا بينهم [البقرة: 136]. انظر:

الطبري، **جامع البيان**، تحقيق: أحمد شاكر ومحمود شاكر، ط 1، مؤسّسة الرّسالة، 1420هـ/ 2000م، ج 5، ص 378.

الماوردي، **النكت والعيون**، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ج 1، ص 322.

ابن كثير الإمام أبو الفداء (701هـ- 774هـ/ 1302م- 1372م)، **تفسير ابن كثير**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1419هـ، ج 1، ص 511.

أبو عبد الله الحليمي، **المنهاج في شعب الإيمان**، تحقيق: حلمي محمّد فودة، ط 1، دار الفكر، 1399هـ/ 1979م)، ص 29.

السّيّد سابق، **العقائد الإسلاميّة**. دار الكتاب العربيّ، بيروت- لبنان، ص 198.

الطبرسي، **تفسير جوامع الجامع**، ط 1، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، قم- إيران، 1418هـ، ج 1، ص 233- ص 155.

الفيض الكاشاني، **التفسير الأصفى**، ط 1، مطبعة مكتب الإعلام الإسلاميّ، 1418هـق/ 1376هش، ج 1، ص 120، ص 68، ص 159.

2 انظر في القرآن [الأحقاف: (35)]، و[الأحزاب: (7)]، وانظر:

الطّبري، ج 20، ص 213، وج 22، ص 145.

الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، تدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط 1، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت- لبنان، 1422هـ/ 2002م، ج 9، ص 26. الطوسي، **التبيان في تفسير القرآن**، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، ط 1، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، 1409هـ، ج 9، ص 287.

هاشم البحراني، **البرهان في تفسير القرآن**، مؤسّسة البعثة، قم- إيران، د.ت، ج 2، ص 286.

القصصيّة والحديثيّة ما يجعل حياة داود امتدادًا بشكل ما لحياة آدم؛ فقد أهدى آدمُ لداود السنوات التي اقترف فيها «ذنبه»[3] المذكور في الكتاب المقدّس[4].

وعند النّظر في النّصّ القرآنيّ، وهو منطلق التصوّرات التي يبنيها القصّاص والمفسّرون وعلماء الكلام...، فإنّنا سنتبيّن أنّ لقصّة داود فيه منزلة خاصّة تتمثّل في نسبة الذنب أو الافتتان إليه، وذلك في جملة آيات سورة ص[5]، ونسبة الذنب إلى الخليفة الثاني المختار وإلى نبي من الأنبياء يوقع الفكر الإسلاميّ في إشكاليّة ذات ثلاثة أبعاد:

---

3 انظر:

Khoury, R. G., *Les Légendes prophétiques dans l'Islam depuis le 1er jusqu'au III siècle de l'Hégire, d'après le manuscrit d'Abu Rifa'a 'Umara b. Watima b. Musa b. al-Furat al-Farisi al-fasawi Kitab Bad al- Ḥalq wa Qiṣaṣ al- Anbiya*, Otto Harrassowitz Wiesbaden, 1978, p 102 et suite.

انظر أيضًا:

الثعلبي، **عرائس المجالس في قصص الأنبياء**، المكتبة الثقافيّة، بيروت- لبنان، د.ت، ص 253.

ابن كثير، **قصص الأنبياء**، تحقيق: أبي عمار مراد بن عبد الله، ط 1، دار السلام، دار العدنان للطباعة، د.ت، ص443.

الكسائي، **بدء الخلق وقصص الأنبياء**، تحقيق ودراسة: د. الطاهر بن سالمة، دار نقوش عربية، تونس، 1998، ط 1، ص 327.

الحنفي، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، المكتبة الثقافيّة، بيروت- لبنان، د.ت، ص 120 وما بعدها.

الشيخ الصّدوق، **الأمالي**، مؤسّسة البعثة، قم- إيران، 1417هـ، ط 1، ص 152.

4 مرّت حكاية داود في الكتاب المقدّس بمراحل كثيرة نجد صداها في كتاب صموئيل الثاني (2 صموئيل)، وكتاب "أخبار الأيام" الأوّل (1 أخبار الأيام)، وأهمّ هذه المراحل: مرحلة حياته مع أبيه يسّى، ومرحلة خدمته لشاول الملك، قتل جالوت فيها، ومرحلة هروبه من شاول الذي قرّر قتله خوفًا منه على ملكه، ومرحلة محاربته لشاول التي تردّدت بين الهزيمة والفرار، والانتصار وإنقاذ حياة شاول، ومرحلة حكمه لسبط يهوذا، ثمّ مرحلة حكمه لكل بني إسرائيل، وفي هذه المرحلة ارتكب خطيئته ضد أوريا الحثّي، وقد عوقب عليها بأن سُلّط السيف عليه وعلى آله من بعده. انظر في كل هذا: سفري 2 صموئيل، و1أخبار الأيام، والمزمور 51. انظر أيضًا: مدخل داود في معجم هاربس للكتاب المقدّس، ومعجم الكتاب المقدّس الجديد، والموسوعة اليهوديّة Jan P. Fokkelman, "David", in *Harper's Bible Dictionary*. 1st ed. (San Francisco: Harper & Row, 1985), p 208-210; T. H. Jones, "David", in *The New Bible Dictionary,* 3rd ed. (Leicester, England; Downers Grove, Ill.: Inter Varsity Press, 1996), p 258ff; Baruch Halpern, «David», in *Encyclopedia Judaïca,* second edition, (Thomson Gale, Vol 5, 2007), p 444...

ويذكر بيتر إنس أنّ "حكاية صموئيل2" تختلف عن "أخبار الأيّام 1"، وأن كل حكاية منهما تقوم بمهمّة؛ فالحكاية في كتاب صموئيل الثاني، التي نجد فيها اعترافًا بخطيئة داود، وضعت أثناء مرحلة السبي، وهي تبرّر لسامعيها سبب غضب الله على شعبه ووقوعه في الأسر، أمّا رواية كتاب أخبار الأيّام الأول التي لا نجد فيها ذكرًا للخطيئة؛ فقد وضعت بعد السبي، وهي ترسم صورة الملك العظيم الأنموذج لشعب بني إسرائيل. انظر في هذا:

Enns, Peter, *Inspiration and Incarnation: Evangelicals and the Problem of the Old Testament.* (Grand Rapids: Baker. 2005, 2015), p 74.

5 تسمّى هذه السّورة- أيضًا- "سورة داود". انظر: ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (508-597هـ/ 1114-1201م).

زاد المسير في علم التفسير. تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1422هـ، ج 3، ص 557.

ابن عاشور، ج 23، ص 201.

وقد أطلقت هذه السورة على داود لقب الخليفة، انظر: الطبري، **التفسير**، ج 21، ص 189.

الرازي فخري الدين، **مفاتيح الغيب**، ط 3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ، ج 26، ص 386.

ابن عاشور، ج 23، ص 242.

- بعد سياسيّ يتعلّق بقيمة العدل؛ فقد عرف داود بالحكمة الّتي مكّنته من تحقيق العدل في القضايا الشّائكة[6]، لكنّ حادثة الخطيئة تجعله ظالمًا مضاعفًا بأن اعتدى على المرأة، ودبّر قتل زوجها.

- وبعدٌ قانونيّ: يتعلّق بالشّريعة، ويظهر ذلك في وظيفة الملك الذي تجتمع فيه - لأوّل مرّة - أعباء الحكم وأعباء النبوّة[7]، لكنّه يضع - بما اقترفه - من قيمة هذا التزاوج ويدنّس الشّريعة.

- وبعد دينيّ: يتعلّق بالمعرفة والقوّة؛ فالخطيئة ترسم لداود صورة من تغلبه الشّهوة، ويعجز عن مداراة فضيحته، وهو بذلك يخرق صورة الحاكم الحكيم، ويبرز صورة الملك العاجز الضعيف.

يطرح البعد الأوّل سؤالًا: كيف يكون الحاكم ظالمًا؟ والثاني: كيف يكون النبيّ غير متمسّك بالشريعة؟ والثّالث: كيف يكون النبيّ الحكيم جاهلًا؟ وكلّ هذه القضايا مرتبطة ارتباطًا دقيقًا بمسألة العصمة؛ فالمعصوم جامع بين عدالة ذاته وعدل أفعاله، وبين ورعه وتقواه، وبين علمه الذي هو علم لدنيّ[8].

وسنتبيّن هذه الأبعاد الثلاثة من خلال النظر في مسألة «خطيئة» داود، كما عبّرت عنها الثقافة الإسلاميّة من خلال القول السّنّيّ.

---

6 انظر ما يرويه الثعلبي في العرائس: الثعلبيّ، **عرائس المجالس**، ص ص 246- 247. الكسائي، ص ص 329- 330. الكرماني أبو القاسم برهان الدين، **غرائب التفسير وعجائب التأويل**، مؤسّسة علوم القرآن، بيروت، دار القبلة للثقافة الإسلاميّة، جدّة، د.ت، ج 2، ص 995. ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، تحقيق ودراسة: علي الشيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1419/ 1998، ط 1، ج 17، ص 100.

الجاحظ، **البيان والتبيين**، ط 1، المكتبة التجارية الكبرى، 1345هـ/ 1926م، مصر، ص 368.

ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، ط 3، دار الكتب العلميّة، 1424هـ/ 2003م، ج 1، ص 393.

انظر أيضًا: تفصيل فضائل ذلك في القرآن في مدخل داود في الموسوعة القرآنيّة Isaac Hasson, «David», in *Encyclopedia of the* Qur'an, (Leiden: Brill, 2001), Vol. I, p 496.

7 هنالك اختلاف بين التصوّر اليهودي لداود - الذي يعدّ ملكًا - والتصوّر الإسلاميّ الذي يعدّه نبيًّا ملكًا، غير أنّه اختلاف، فيما يبدو، شكليّ؛ فصفة الخليفة ذات الشحنة السياسيّة القويّة هي أهمّ صفات داود النبيّ في القرآن، وداود الملك في "صموئيل 2" و"أخبار الأيّام 1"، يكلّمه الرّبّ ويوحي إليه، والطريف، كما نرى ذلك في العهد القديم، أنّ حضور النّبيّ ناثان في علاقته بداود جاء بعد وقوع داود في الخطيئة، فكأنّ النبوّة انتقلت إليه من داود، وصفة الخلافة في القرآن تقرّرت - أيضًا - بعد "الذنب" الذي استغفر داود منه، فهل للذنب دور في ترجيح الوظيفة السياسيّة في سيرة داود على الوظيفة النبوّة؟ انظر: في اعتبار داود ملكًا غير نبيّ: David Flusser, «David», in *Encyclopedia Judaica*, 2nd édition, (New York: Thomson Gale, 2007), vol. 5, p 454.

8 انظر النقاش الذي يورده ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت، ج 7، ص 7.

انظر أيضًا: الزّركشيّ، أبو عبد الله، **البحر المحيط في أصول الفقه**، دار الكتبيّ، 1414هـ/ 1994م)، ج 6، ص 15 وما بعدها.

محمّد السند، **أسس النظام السياسي عند الإمامية**، تحقيق: محمد حسن الرضوي ومصطفى الإسكندري، ط 1، باقيات، مكتبة فدك، قم- إيران، 1426هـ، 133 وما بعدها.

الصدوق، **معاني الأخبار**. تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسّسة النّشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، د.ت.)، ص 132 وما بعدها...

تتردّد في تفاسير أهل السنّة للقرآن وفي تواريخهم العامّة ثلاثة أقوال حول «خطيئة» داود، تتدرّج من عرض ما جاء في التوراة في صياغة جديدة، وعدّ ما فعله كبيرة[9] من الكبائر، مرورا بإعادة تأويل جزئيّ للحكاية واعتبار ما قام به صغيرة من الصغائر، وصولا إلى صياغة تأويل كلّيّ للحكاية وتحويل فعل داود من خطيئة إلى حسنة يجزى عليها.

1. داود صاحب الكبيرة: إعادة صياغة قول النصّ الكتابي

يلخّص الرازي هذا الرأي الأوّل في قوله: «إنّ داود عشق امرأة أوريا، فاحتال بالوجوه الكثيرة حتى قتل زوجها ثم تزوج بها فأرسل الله إليه ملكين في صورة المتخاصمين في واقعة شبيهة بواقعته، وعرضا تلك الواقعة عليه. فحكم داود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنبا، ثم تنبه لذلك فاشتغل بالتوبة.»[10] والعبارات الدالّة على ذنب داود في هذا التلخيص هي عشق، واحتال حتّى قتل، وتزوّج. وبيّن أنّ العبارة الهامّة هنا هي القتل، فذنب داود ليس في العشق (وهو إعادة صياغة لزنى النظر الموجود في سفر 2 صموئيل) ولا هو الزواج (وهو إعادة صياغة للزنى الموجود في التوراة). بل إنّ القتل ذاته مرتبط بالحيلة فداود ليس القاتل المباشر لأوريّا وإنّما سبب غير مباشر له عندما عمل على وضع أوريّا في مكان لا يعود منه حيّا.

ولئن بدا الرازي، وهو يعرض الخطيئة، حريصا على أن يخفّف ممّا نسب إلى داود في كتب الأنبياء فإن غيره من المفسّرين قد عمل على تعليل وقوع داود في الذنب ممّا يجعل ذنبه ذاك قدرا من الله شأن ما تذكره كتب التفسير والعقيدة عموما عن آدم وأكله من الشجرة المحرّمة.[11]

---

9 حدّد بعضهم الكبيرة بما له حدّ ووعيد، والصغيرة بغير ذلك. انظر البدر عبد المحسن، **قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1423هـ/ 2002م، ص 120. انظر أيضًا: الغامدي، **الإيمان بين السلف والمتكلّمين**. مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1432هـ/ 2002م، ص 133 وما بعدها. الأثري عبد الله، **الإيمان؛ حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة**، مراجعة وتقديم: فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح، مدار الوطن للنشر، الرياض، 1424هـ/ 2003م، ص 201.

10 الرّازي، **التفسير الكبير المعروف بتفسير مفاتيح الغيب**، ط 3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ، ج 26، ص 377.

الطّبري، **التفسير**. ج 21، ص 183 وما بعدها.

البغوي، ج 7، ص 78 وما بعدها.

الماوردي، ج 5، ص 85 وما بعدها.

القشيري عبد الكريم بن هوازن (ت. 465هـ)، **لطائف الإشارات المعروف بتفسير القشيري**. تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط 3، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر، ج 2، ص ص 512- 513.

ابن عطيّة الأندلسي، **المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط 1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1422هـ، ج 4، ص 498.

11 يقول القشيري: «ولكن لما قصدته سهام التقدير ما أصابت إلا حدقته حين نظر إلى امرأة أوريا - من غير قصد - فكان ما كان» القشيري، ج 2، ص 512. انظر أيضًا: الخفاجي شهاب الدين (ت. 1069هـ)، **حاشية الشّهاب على تفسير البيضاوي المسمّاة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**. دار صادر، بيروت، د.ت، ج 7، ص 173. الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار الفكر، بيروت- لبنان، د.ت، ج 4، ص 428.

وترسم الحكاية السنيّة الوقوع في الذنب من خلال المراحل التالية:

* بيان بداية الابتلاء ويقوم ذلك بذكر سببه. ويتحدّد هذا السبب في أحد الأقوال التالية:

- سبب الابتلاء الأوّل: أنّ داود أراد أن يكون في مرتبة آبائه إبراهيم وإسحق ويعقوب، فقيل له إنّهم نالوا ما نالوا بصبرهم وفوزهم في الابتلاءات الّتي تعرّضوا لها، فطلب داود أن يُبتلى فكانت مقارفة الذّنب.

- السّبب الثاني: المذكور أن نفس داود حدّثته أنّه يستطيع أن يقطع يومًا بغير الوقوع في ذنب، وسعى داود إلى تحقيق ذلك، وأخبر بأنّه سيفتن فأخذ حذره، لكن دون جدوى؛ إذ وقع في الفتنة.

- السبب الثّالث: أن داود عزم على أن يعدل في بني إسرائيل، ولكنّه لم يستثن[12]، فكانت فتنته شبيهة بفتنة آدم.

- السّبب الرّابع: أن داود أعجب بعلمه وعمله، فكانت فتنته بسبب الكبر، وهي فتنة إبليس وخطيئته حين رفض السجود لآدم[13].

وواضح من خلال هذه الأسباب؛ أنّ مقصد داود مقصد خير، وأنّه سعى إلى أن يرفع من مكانته عند الله، وبهذا يغيب عنصر النيّة في ارتكاب الكبيرة، وهو عنصر مهمّ في الإدانة بالذنب؛ بل إن الإعجاب لم يرتبط بشكل واضح بالعجب والكبر، كما هو الأمر مع إبليس.

* المرحلة الثانية: يختلي فيها داود للعبادة، وفيها نرى دخول عامل جديد في الحكاية هو إبليس، على شكل حمامة استدرجت داود حتى جعلته يشرف من كوّة على المرأة وهي تغتسل، فأعجب بها. وتلغي هذه المرحلة اتهامًا ضمنيًا لداود بالقعود عن الجهاد، نجده في التوراة[14]؛ إذ كان داود في عبادة، وهي تلغي - كذلك - زنى النّظر؛ إذ ما إن أبصر داود المرأة حتّى غطّت جسدها بشعرها، ويغيب من هذه المرحلة استدعاء داود للمرأة ومواقعتها.

---

12 أي لم يقل "إن شاء الله"، وهذه إشارة إلى آية في سورة الكهف {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} [الكهف: (23)-(24)].

13 انظر في بيان هذه الأسباب: مقاتل بن سليمان البلخي، **تفسير مقاتل**، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1423م، ج 3، ص 639. الطبري، **التفسير**، ج 21، ص 181. الماوردي، ج 5، ص 85. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم إطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة- مصر، 1384هـ/ 1964م)، ج 15، ص 167 وما بعدها. السيوطي، **الدر المنثور**، دار الفكر، بيروت، 1993م، ج 7، ص 155 وما بعدها. انظر أيضًا: من تفاسير الإماميّة الأوائل القمّي، **تفسير القمي**، تصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف، قم – إيران، 1387هـ، ج 2، ص 231.

14 لجنة من العلماء، **التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس**، القاهرة- مصر، 1997م، ص 658. انظر أيضًا:

F.B. Meyer, *Through the Bible Day by Day A Devotional Commentary*, 1913, 2Samuel 11: 1-13; Henry Matthew (1662-1714), *Commentary on the Whole Bible (Genesis to Deuteronomy)*, Grand Rapids, MI: Christian Classics Ethereal Library, 2000, 2Samuel 11: 1.

* المرحلة الثّالثة: يقدّم فيها داود أوريّا إلى حيث التابوت حتى يقتل.

* المرحلة الرابعة: ينتظر فيها داود عِدّة المرأة، ثم يتزوّجها.

يقوم القسم السردي لهذا القول الأوّل على الاستفاضة في بيان سبب الوقوع في الذنب، وعلى وصف دقيق - أحيانًا - لأتباع داود الحمامة، مع اختصار جملة قتل أوريّا، وجملة زواج داود من زوجته. والملاحظ؛ هو الاختلاف الكبير بين ما جاء في سفر صموئيل2، وما جاء في كتب التفسير والقصص والتاريخ عند أهل السنّة؛ ففي حين يغيب التعليل في التوراة يستفاض فيه عند المسلمين، وفي حين يعود اكتشاف المرأة إلى تجوّل داود في سطح قصره، وإشرافه على منزل جاره في التوراة، يُرْجَعُ ذلك عند المسلمين إلى إبليس وغوايته المبطّنة، وفي حين يستفاض في التّوراة في علاقة داود بالمرأة مواقعة ومحاولة إخفاء فضيحة حملها منه سفاحًا، يسكت الفكر الإسلامي - في قسمه السنّيّ - عن ذلك، ويعوّضه بأن جعل علاقة داود بالمرأة علاقة زواج خاضعة للأحكام الإسلاميّة للزواج، وهي انتظار عدّة الأرملة.

ورغم أن إعادة الصياغة هذه تبرّئ - نسبيًا - داود من الزنى المباشر؛ فإنّها تنسب إليه بشكل واضح زنى النظر وتدبير القتل، وهو ما عمل القول الثاني على ردّه بوضوح.

2. داود صاحب الصغيرة: تأويل جزئي لذنب داود:

تُؤوّل «خطيئة» داود في هذا القول تأويلًا جزئيًا؛ فأصحاب هذا الرّأي يرون أن داود قد أذنب، لكنّ ذنبه ليس ذنبًا حقيقيًا بقدر ما هو من باب ترك الأولى؛ أي أنّه كان على داود أن يترك فعل هذا الذي فعله، ليس لأنّه ذنب؛ بل لأنّه ليس من مقامه أن يفعله لمكانته العالية عند الله وبين الناس، وقد قدّم الفكر الإسلامي في هذا ثلاثة احتمالات، تعود كلّها إلى تأويل الجزء الثاني من آيات [سورة ص]؛ أي الآيات 21- 24:

* **الاحتمال الأوّل:** «أنّ هذه المرأة خطبها أوريا فأجابوه، ثم خطبها داود فآثره أهلها، فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه»[15]، ورغم أنّنا لا نرى في الآيات، ولا في نصوص أهل

15 الرّازي، ج 26، ص 380. الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ط 1، دار طوق النجاة، بيروت- لبنان، 1421هـ/2001 م، ج 24، ص 345. درويش محيي الدين، **إعراب القرآن وبيانه**، ط 4، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص- سوريا، دار اليمامة، دمشق- بيروت، دار ابن كثير، 1415هـ، ج 8، ص 349. النسفي أبو البركات، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل المعروف بتفسير النسفي**، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط 1، دار الكلم الطيب، بيروت، 1419هـ/ 1998م، ج 3، ص 150. ابن عجيبة، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة، 1419هـ، ج 5، ص 16. سعيد حوّى، **الأساس في التفسير**، ط 6، دار السلام، القاهرة، 1424هـ، ج 8، ص 4799.

الكتاب، ما يدعم هذا الاحتمال؛ فإنّ الخطبة على الخطبة سابقة من الذنوب[16]، إلّا أن يأذن الخاطب الأوّل، ولا معنى عندئذ لأن تكون الخطبة الثانية خطبة ثانية.

* ويظهر هذا الإذن في **الاحتمال الثاني**؛ إذ يذكر المفسّرون أنّ من شريعة اليهود على زمان داود أن يسأل «بعضهم بعضًا أن يطلق امرأته حتّى يتزوّجها، وكانت عادتهم في هذا المعنى مألوفة معروفة، فاتفق أنّ عيْن داود - عليه السّلام - وقعت على تلك المرأة فأحبّها، فسأله النزول عنها، فاستحيا أن يردّه ففعل»[17]، وبهذا يردّ ذنب داود إلى اتّفاق القدر، وإلى حياء أوريّا، ويجد هذا الاحتمال في العبارة القرآنيّة: {**فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا**} ما يدعّمها.

* **والاحتمال الثّالث:** هو أنّ داود بعد أن اتّفق أنّه رأى المرأة، وبعد أن قُتِلَ زوجها، لم يشعر بالحزن عليه، ولم يجد من موته ما كان يجده من حزن عند سماعه بموت غيره من جنوده، لما كان يجده في نفسه من رغبة في الزواج من المرأة.

وهذه الاحتمالات الثلاثة لا شيء يدعمها إلّا الفرضيّة العقديّة التي تنبني على أن الأنبياء لا يمكنهم أن يقعوا في الذنوب؛ فالمبدأ هو الذي يحكم على معنى الآيات، وهو ما يجعل فعل المفسرين مقلوبًا؛ إذ من المنتظر أن معنى الآيات هو الذي يحدّد المبدأ وليس العكس، والقول الثاني مصادرة على المطلوب، على حدّ قول المناطقة، أو هو تفسير لما يُتَدَاوَلُ من تأويل عقديّ للنصّ القرآنيّ، مغاير لما يعتقده المفسّر، وظاهر القرآن يتوارى وراء الموقف الإيديولوجي للمفسّر[18].

3. حسنة داود: تأويل كليّ لقصّة داود:

يقوم هذا القول على إعادة تأويل كلّيّ لما جاء في القرآن خاصًا بداود و«خطيئته»، ويتمثّل ذلك في استحضار رواية، قد تكون محض افتراض واحتمال سرديّ لا غير، تذكر أن جماعة أرادوا قتل داود في

16 الحنبلي شمس الدين محمد بن أحمد (ت. 744هـ)، **المحرر في الحديث**، تحقيق: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، محمد سليم إبراهيم سمارة، جمال حمدي الذهبي، دار المعرفة، **بيروت**، 1421هـ/ 2000م)، ج 1، ص 477. العسقلاني أبو الفضل، **نظم اللآلي بالمائة العوالي**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1410هـ/ 1990م، ص 82. العلائي صلاح الدين، **بغية الملتمس في سباعيّات حديث الإمام مالك بن أنس**، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط 1، عالم الكتب، بيروت، 1405هـ/ 1985م)، ص 208. الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، ط 1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1415هـ/ 1995م)، ج 3، ص 27.

17 الرازي، ج 26، ص 380. الهرري، ج 24، ص 345. انظر أيضًا: الشيخ المفيد، **تفسير القرآن المجيد**. تحقيق: السيد محمد علي أيازي، ط 1، مؤسسة بوستان كتاب، قم، 1424هق/ 1382هش)، ص 438. وقريب من هذا ما جاء في تفسير الطوسي، انظر: الطوسي، **التبيان**، ج 8، ص 554.

18 انظر: مقدّمات ابن خمير في كتابه «تنزيه الأنبياء»؛ أوّلاها: إجماع الأمّة على عصمة الأنبياء، وثانيتها: أن كل مَحْظُور كَبيرَة، وثالثتها: أن يقوم الشرح لتأكيد تنزيه الأنبياء. ابن خمير أبو الحسن، **تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء**، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، لبنان، 1411هـ/ 1990م، ص 32.

يوم تعبّده، فتسوّروا حائط مصلاّه ودخلوا عليه فلمّا وجدوا عنده من يحميه منهم ابتدعوا حكاية الخصومة المذكورة في الآيات. وتكمن «خطيئة» داود في هذا الاحتمال الثالث في أحد الوجوه التالية:

* أنّ داود لمّا رآهم يدخلون عليه خاف منهم لعلمه بأنّهم جاؤوا لاغتياله ودعاه الغضب إلى أن يشتغل بالانتقام منهم، غير أنّه مال إلى العفو عنهم واعتبر ما حدّثته نفسه به من الانتقام منهم فتنة من الله فاستغفر وتاب.

* أنّ داود ندم على ظنّه بخيانتهم له واعتبر ذلك سوء ظن بأناس جاؤوا يطلبون عونه فاستغفر وتاب

* أنّ استغفار داود لم يكن بسبب ما وقع فيه من ذنب بل بسبب ذنب الداخلين عليه الذين تجرّؤوا على قطع خلوته ومغافلة حرّاسه وهو ذنب عظيم اعتبره داود فتنة له فاستغفر لهم الله ودعاه أن يتوب عليهم.[19]

إنّ وجوه هذا التأويل الكليّ لقصّة داود لا تجعل داود مذنبا بل تجعله متصفا بصفات هي من صفات الأنبياء كالحلم في الوجه الأوّل ومحاسبة النفس ومقاومتها في الوجه الثاني والرحمة بالمؤمنين والرفق بهم في الوجه الثالث. فلا حضور للمرأة ولا للزنى ولا للقتل.

ويعلّل الرازي هذا الاحتمال الثالث بجملة من الحجج يمكن توزيعها إلى حجّة دينيّة أخلاقيّة وحجّة سياقيّة وحجّة تأويليّة

* أمّا الأولى فتقوم على أنّ «الْأَصْلَ فِي حَالِ الْمُسْلِمِ الْبُعْدُ عَنِ الْمَنَاهِي»[20]

* والثانية أنّ ذكر حادثة الخصومة جاءت في سياق تقديم مثال عن صبر الأنبياء وحلمهم للرسول محمّد حتى يتقوّى على ما يلاقيه من عنت قريش وأذاهم، وهذا السياق يفترض أن تظهر الآيات حلم داود وصفْحه وصبره ورحمته بغيره، وإن جاء يريد قتله (وفي حالة الرّسول وإن لم يكن مؤمنًا)[21].

* الثّالثة: تقوم على إعادة النظر في التفسير الموروث عن القدماء، الّذي يعدّ المتخاصمين ملكين جاءا يشكوان لداود أمرًا، وهذا الاعتبار، وهو الذي يلزم المفسّر بأن يأخذ بما جاء عن سفر صموئيل 2 وتفاسيره في مختلف الروايات الشفويّة اليهوديّة آنذاك، هو الذي أوجب الحديث عن المرأة وعن الزنى والقتل، وهو

19 الرازي، ج 26، ص 381. انظر أيضًا: الهرري، ج 24، ص 345 وما بعدها. الطنطاوي، محمّد سيّد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م، ج 12، ص ص 153- 154. ابن عادل الحنبلي، **اللباب في علوم الكتاب**. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/ 1998م)، ج 16، ص 404 وما بعدها.

20 الرازي، ج 26، ص 381. ويوافقه البيضاوي، ج 5، ص 27 وما بعدها. ابن عادل، ج 16، ص 405.

21 الطبري. **التفسير**. ج21، ص 166 وما بعدها؛ الماوردي، **التفسير**. ج 5، ص 83 وما بعدها؛ ابن الجوزي، ج 4، ص 485؛ ابن عاشور، ج 23، ص 226؛ ابن عطيّة، ج 4، ص 496...

الذي أوجب اتّهام الملائكة بالكذب؛ إذ إنّ كلامهم لم يكن إلّا مثلًا؛ أي أنّ ربط الآيات بما جاء عن التوراة هو الذي أوجب القول بخطيئة داود، ولا بدّ من رفض هذا الربط لتحرير النبوّة من الخطيئة؛ أي لتقرير القول بالعصمة، عصمة الأنبياء وعصمة الملائكة.

النتائج:

نخرج من النظر في «خطيئة» داود بأهمّ النتائج ومآلاتها؛ إذ نرى أنّ أهل السنّة يميلون إلى أنّ داود أخطأ، وأن خطأه يتراوح بين زنى النظر وبين عدم كبح جماح النفس في طلب الدنيا، وإن كان الطلب حلالًا (الزواج من بثشيبع).

فكيف يمكن تفسير ذلك؟

تلزمنا الإجابة الانتباه إلى مجالين؛ أوّلهما: طبيعة شخصيّة داود، والثاني: مصادر القول في هذه الشخصيّة، ولئن كان الاختلاف في الاهتمام بشخصيّة داود موجودًا بين المسلمين وأدبيات اليهود والمسيحيّين، كلّ بحسب زاوية نظره[22]؛ فإنّ المسلمين لم ينظروا إليه إلّا من زاويتين هما: زاوية نبوّته وزاوية «خلافته»[23]، وذلك لأنّهم لم يهتمّوا بداود إلّا من خلال مصدرين ظاهرين، هما: القرآن الذي لم يذكر له إلّا الملك والنبوّة، و«التاريخ المقدّس» الّذي سيحضر من خلال وثيقتين؛ إحداهما مادّيّة، نظر إليها بريبة، هي «الكتاب المقدّس»، والثانية متخيّلة؛ هي الصورة التي اصطنعها المسلمون عبر الزمن لداود، الّتي نجد مصدرًا من مصادر تكوّنها في خطاب قصص الأنبياء، وهكذا؛ نرى القول السنّيّ مشدودًا إلى رؤية للنبوّة، ورؤية للقرآن، ورؤية للتاريخ المقدّس، وتصوّر للحاكم وللسياسة عمومًا.

واضح ممّا ذكرنا؛ أنّ أهل السنّة أميل إلى عدّ داود أذنب في حقّ أوريا، وهو ذنب مزدوج؛ إذ يجمع بين الزنى والقتل أو التشجيع عليه؛ إذ يعملون في النّصوص التي تتحدّث بشكل مباشر عن الخطيئة على

22 اعتنى المسيحيّون واليهود بجوانب متعدّدة من حياة داود، بدءا من حياته حينما كان راعيا وصولا إلى حياته وهو ملك، مبرزين في خطابهم الوعظي حضور فعل الربّ فيها ومدى طاعته لأمره وذلك لما التزم به الخطاب التفسيري والقصصي من تتبع الأخبار التي اعتنت بداود في العهد القديم. انظر على سبيل المثال Jonathan M. Golden, *Ancient Canaan and Israel*, ABC-CLIO's Understanding Ancient Civilizations, (California: Santa Barbara, 2004), p 271ff; Howard Schwartz, *Tree of souls The Mythology of Judaism,* (New York: Oxford University Press, 2004), p 482ff; Steven L McKenzie, *King David: a biography*, (New York: Oxford University Press, 2000), p 174ff; Paul Borgman, *David, Saul, and God Rediscovering an Ancient Story*, (New York: Oxford University Press, 2008), p 39...

23 قد يعود عدم تفصيلهم لبعض ما يخصّ حياة داود إلى ما ورد عنه في العهد القديم من أخبار لا يقبلونها، انظر مثلًا: مسألة رقصه أمام تابوت العهد، وسكوتهم عن قتل أعدائه حينما خرج يغزوهم لقطع غلفهم مهرًا لابنة طالوت. الطبري، **التفسير**، ج 5، ص 323، وص 356. ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أسعد محمّد الطيّب، مكتبة نار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، 1419هـ، ج 2، ص 471. ويبدو أنّ هذه الأخبار قد بقيت حاضرة في بعض التفاسير المتأخّرة (بعد القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد) مع بيان غرابتها ورفضها. انظر مثلًا: الثعالبي، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ.

التخفيف منها، وتحويلها من كبيرة قد تستلزم القتل أو الرجم إلى ذنب يمكن أن يُغفر؛ بل إلى حسنة يُؤجر عليها داود.

وبيّن أنّ هذه النصوص محكومة بالجدل الدّينيّ والمذهبيّ المتأخّر بين المسلمين واليهود عمومًا، وبين أهل السنة والشيعة الإماميّة خصوصًا[24]، غير أنّنا قد نجد نصوصًا أخرى تبعد قليلًا عن سلطة الرقابة الكلاميّة التي تقع تحتها نصوص التفسير والتاريخ، مثل؛ النصوص الوعظيّة، والنصوص القصصيّة المتجهة إلى العامّة، فلهذه النصوص استراتيجيّة أخرى هي الاستراتيجيّة الوعظيّة التي تجعلها مختلفة عن النصوص الكلاميّة الحجاجيّة العقديّة، وتكمن أهمّيّتها في أنّها توفّر إمكانيّة التحرّر من الحجاج الكلاميّ، لذلك يقع التركيز في هذه النصوص على توبة داود وبكائه وحزنه وندمه، ويظهر هذا الحزن شبيهًا بحزن آدم الذي أخرجته خطيئته من الجنّة، ولا ريب أن حزنًا كهذا لا يمكن أن يكون بسبب صغيرة من الصغائر لم يقصدها، أو بسبب حسنة أتاها في صفحه عمّن أراد أن يغتاله.

- لقد التزمت رؤية أهل السنّة إلى حكاية داود بعصمته، لكنّهم وقعوا - في خطابهم الوعظي - في حرج المحافظة على هذه العصمة؛ بل كان الواعظ في مجالسه يميل إلى إرجاء إثبات عصمته، وقد وجد في القرآن وفي تاريخ اليهود سندًا في ذلك، أمّا المتكلّم الذي يبني قوله على العصمة[25]، فلم يجد في المدوّنة التفسيريّة ما يساعده على إقرار هذا المبدأ إقرارًا نهائيًّا.

لقد كان الخطاب الوعظيّ (الشّفويّ في أساسه) أكثر التصاقًا بالنّصّ الدّينيّ والكتابيّ، خدمة لاستراتيجيّة دينيّة سياسيّة تتعلّق بالموقف من الحاكم في المتخيّل الاجتماعيّ السّياسيّ الإسلاميّ[26].

- وتجد الرؤية الكلاميّة حرجًا في تعاملها مع أهمّ شروط قراءة النصّ الدينيّ؛ هي الاستناد، أو إرضاء التقليد التفسيري والتأويلي الموروث، وبعبارة أدقّ: قوانين التفسير والتأويل البياني التي تقوم على اعتماد المعنى اللغويّ كما يوفّره الإطار المرجعي للّغة العربيّة، وهو «لغة الأعراب»[27]، والاعتماد على الأصول عينها التي يعتمدها الفقيه في استخراج الحكم الشّرعيّ، وهي؛ القرآن، والسّنّة، والإجماع، والقياس أو ما

---

24 انظر:

Mohammed, Khaleel, *David in the Muslim Tradition: The Bathsheba Affair.* (Lanham MD: Lexington Books. 2015), p 65, 80, 195.

25 انظر في ذلك مثلًا: ابن الوزير أبو عبد الله محمّد (ت. 840هـ/....م)، **إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد**، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1987م، ص 273. الشوكاني، ج 4، ص 490. وهبة الزّحيلي، **التفسير المنير**، ج 23، ص 190. حسن محمّد أيّوب، **تبسيط العقائد الإسلاميّة**، دار الندوة الجديدة، بيروت، 1403هـ/ 1983م)، ص 133.

26 الثعلبي، **عرائس المجالس**، ص251. الثعلبي، **التفسير**، ج 8، ص 194. الكسائي، ص 328. الصفوري عبد الرحمن، **نزهة المجالس ومنتخب النفائس**، المطبعة الكاستليّة، مصر، 1283هـ، ج 2، ص 34. النويري، شهاب الدين، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، ط 1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1424هـ/ 2004م)، ج 14، ص ص 54- 55.

27 محمّد عابد الجابري، **تكوين العقل العربي، ط 2**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1985م، ص 75 وما بعدها.

يقوم مقامه، فقد أفرزت هذه الرّؤية ضرورة عدّ ما جاء في آيات [سورة ص] من المحكم؛ إذ إشارتها إلى فتنة داود وإلى استغفاره وتوبته واضحة، لا يمكن للمفسّر وهو ينظر فيها أن يردّ فكرة (أن داود أخطأ وأن الله غفر له خطأه)، غير أنّ قوّة الجدل المذهبي والديني المتأخّر، بعد القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، قد أفرز قوانين إضافيّة للتفسير والتأويل، أهمّها: ضرورة الانطلاق في التّفسير من أن الأنبياء والملائكة معصومون من الخطأ والمعصية، فيدفع المفسّر إلى تأويل الظاهر وتغيير المحكم[28].

- وما أفرزته رؤيتهم للنبوّة ورؤيتهم للقرآن يقوم على رؤيتهم للتاريخ المقدّس، ذلك الذي سيعتمدون عليه حين يبنون شرعيّة الديانة الأخيرة والدولة «الأخيرة» ديانة الإسلام ودولة الخلافة[29]، ورؤيتهم للتاريخ المقدّس أفرزت المحافظة على الوجهة العامّة الّتي بُني عليها الكتاب المقدّس وهي أسفار البدايات الأولى بداية الخلق، (سفر التكوين)، وبداية الأمة أو الشعب (سائر أسفار التوراة الخمسة الأخرى)، ثمّ أسفار تاريخ الأنبياء والملوك، وليس غريبًا أن نجد كلّ التواريخ العامّة في الثقافة الإسلاميّة بنسب متفاوتة؛ بدءًا من «تاريخ ابن إسحاق»، ووصولًا إلى «سمط النّجوم العوالي»، أو «بدائع الزّهور في وقائع الدهور»، تستعيد «التاريخ» المقدّس في الكتاب المقدّس، إنّ «خطأ» داود خطأ ضروريّ ضمن مسار تاريخيّ يتوّج بأجلّ نبيّ وأفضل رسول وخير أمّة أخرجت للنّاس.

- وقد استجابت هذه الرؤى الثلاث الّتي ساعدت في قبول القول بالخطأ في حقّ الخليفة الثّاني إلى صورة الحاكم في المتخيّل الإسلاميّ، صورة تقوم - أساسًا - على مبدأ الفحولة، ومن علاماتها؛ أن تحبل المرأة من اللقاء الأوّل، وأن تقبل به من العرض الأوّل، وأن يطيعه الرجال (أوريا، وغيره) من الأمر الأوّل، وأن يحصل على ما يريد دون عناء أو جهد، وهي صورة تلتحق بالصورة المتواترة عن داود في «أخبار الأيّام 1» التي رسمت لتأكيد منزلته في تاريخ بني إسرائيل ودولتهم القديمة، وتجد هذه الصورة مجالها الرحب في الخطاب الوعظيّ الّذي يستند إلى ما جاء في كتب الأنبياء، غير أن هذا الخطاب لم يركّز على خطيئة داود (الزنى، والقتل...)؛ بل على تقواه وندمه، معتنين بما كان يدلّ على أحقيّته في الحكم، أحقّيّة غير تلك التي تنبع من شروط الحاكم في علاقته بالمحكوم، وهي أساسا العدل؛ بل الأحقيّة التي تنبع من الحاكم وقدراته ذاتها تلك التي تبرّر سيطرته، سيطرة الكبش على نعاجه، كما يستفاد من الكناية التي في القرآن أو في نصح ناثان لداود في الكتاب المقدّس.

---

28 ابن خمير، **تنزيه الأنبياء**، ص 32. الواحدي، أبو الحسن، **التفسير البسيط**، عمادة البحث العلمي، المملكة العربية السّعوديّة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1430هـ، ج 12، ص 271.

29 ينظر في هذا إلى استراتيجيّة الخليفة العبّاسي المنصور حينما أمر ابن إسحق بكتابة تاريخ الإسلام أو بدء الخلق. انظر: محمّد كريم الكوّاز، (جامع ومقدّم)، **المبتدأ في قصص الأنبياء**. لابن اسحاق، ط 1، الانتشار العربي، بيروت، 2006م، ص 14.

هذه الرؤى الأربع التي سيّجت موقف أهل السنّة من «خطيئة» داود يمكن أن تفرز نتائج مهمّة قد تخالف بعض ما استقرّ عليه الأمر اليوم عند المسلمين:

أ. إنّ بعض ما جاء في الكتاب المقدّس عن بعض الأنبياء ليس مختلفا تمامًا عمّا جاء في القرآن، أو إذا عكسنا القول: إنّ ما عبّر به القرآن عن بعض الأنبياء لا يختلف كثيرًا عمّا جاء عند أهل الكتاب.

ب. إنّ عبارة «وهذا من الإسرائيليّات» التي تتردّد عند ابن كثير ونعناعة وغيرهما، التي تدلّ عندهما على الكذب والكفر، ليست دائمًا كذلك؛ بل إن ما قد يتعارض مع أهمّ العقائد الإسلاميّة، وهو القول بعصمة الأنبياء ويتناسب مع ما جاء في الكتاب المقدّس ليس خطأ كلّه وليس كذبًا كلّه.

ج. إنّ العقائد والأقوال التي تبنى على هامش النصّ الدّينيّ، عقائد إسلاميّة أو يهوديّة أو مسيحيّة، هي من صنع التفاعل الإنسانيّ بين العقل والنّصّ والتاريخ، وأن هذا ليس نقصًا في العقائد؛ بل عنصر حياة وديناميكيّة.

إنّ الإجابة على سؤال: هل يؤمن المسلمون بأنّ داود أصاب الخطيئة أو أذنب، يحدّد إلى حدّ كبير كيفيّة تعاملهم مع الكتاب المقدّس، ذلك أنّ من بين أسباب إيمان المسلمين أنّ الكتاب المقدّس محرّف، وأنّ الكتاب الأصلي غير موجود، وأنّ صورة الأنبياء فيه صورة مشوّهة، ولعلّ أهمّ المواطن التي تجعل هذه الصورة مشوّهة - في رأيهم - ما يروى عن نوح وابنتيه وعن داود وزوجة أوريا.

المصادر والمراجع:

- ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أسعد محمّد الطيّب، مكتبة نار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، 1419هـ.
- ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، د.ت).
- أبو عبد الله الحليمي، **المنهاج في شعب الإيمان**، تحقيق: حلمي محمّد فودة، ط 1، دار الفكر، 1399هـ/ 1979م.
- الأثري عبد الله، **الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة**، مراجعة وتقديم: فضيلة الشّيخ الدكتور عبد الرحمن بن صالح، مدار الوطن للنشر، الرّياض، 1424هـ/ 2003م).
- الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، ط 1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرّياض، 1415هـ/ 1995م).
- البدر عبد المحسن، **قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، دار الفضيلة، الرّياض، 1423هـ/ 2002م.
- الثعالبي، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ.
- الثعلبي، **عرائس المجالس في قصص الأنبياء**، المكتبة الثقافيّة، بيروت- لبنان، د.ت.
- الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، تدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، 1422هـ/ 2002م.
- الجاحظ، **البيان والتبيين**، ط 1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1345هـ/ 1926م.
- حسن محمّد أيّوب، **تبسيط العقائد الإسلاميّة**، دار الندوة الجديدة، بيروت- لبنان، 1403هـ/ 1983م.
- الحنبلي شمس الدين محمد بن أحمد (ت. 744هـ)، **المحرّر في الحديث**، تحقيق: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، محمد سليم إبراهيم سمارة، جمال حمدي الذهبي، دار المعرفة، **بيروت- لبنان**، 1421هـ/ 2000م.
- الحنفي، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، المكتبة الثقافيّة، بيروت- لبنان، د.ت).
- الخفاجي شهاب الدين (ت. 1069هـ)، **حاشية الشّهاب على تفسير البيضاوي المسمّاة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ابن خمير أبو الحسن، **تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء**، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، لبنان، 1411هـ/ 1990م.
- درويش محيي الدين، **إعراب القرآن وبيانه**، ط 4، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص- سوريا، دار اليمامة، دمشق/ بيروت، دار ابن كثير، دمشق/ بيروت، 1415هـ.

- الرازي فخري الدين، **مفاتيح الغيب**، ط 3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.
- الرازي، **التفسير الكبير المعروف بتفسير مفاتيح الغيب**، ط 3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.
- الزركشي، أبو عبد الله، **البحر المحيط في أصول الفقه**. دار الكتبي، 1414هـ/ 1994م.
- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (508-597هـ/ 1114-1201م)، **زاد المسير في علم التفسير**. تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1422هـ.
- سعيد حوّى، **الأساس في التفسير**، ط 6، دار السلام، القاهرة، 1424هـ.
- السيّد سابق، **العقائد الإسلاميّة**. دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، د.ت.
- السيوطي، **الدر المنثور**، دار الفكر، بيروت، 1993م.
- الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار الفكر، بيروت- لبنان، د.ت.
- الشيخ الصدوق، **الأمالي**، مؤسّسة البعثة، قم، 1417هـ.
- الشيخ المفيد، **تفسير القرآن المجيد**. تحقيق: السيد محمد علي أيازي، ط 1، مؤسّسة بوستان كتاب، قم- إيران، 1424هـق/ 1382هـش.
- الصدوق، **معاني الأخبار**. تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، د.ت.
- الصفوري عبد الرحمن، **نزهة المجالس ومنتخب النفائس**، المطبعة الكاستليّة، مصر، 1283هـ.
- الطبرسي، **تفسير جوامع الجامع**، ط 1، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم- إيران، 1418هـ.
- الطبري، **جامع البيان**، تحقيق: أحمد شاكر ومحمود شاكر، ط 1، مؤسّسة الرسالة، 1420هـ/ 2000م.
- الطنطاوي، محمّد سيّد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م.
- الطوسي، **التبيان في تفسير القرآن**، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، ط 1، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، 1409هـ.
- ابن عادل الحنبلي، **اللباب في علوم الكتاب**. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1419هـ/ 1998م.
- ابن عجيبة، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة، 1419هـ.
- ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، تحقيق: ودراسة علي الشيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 1419/ 1998م.
- العسقلاني أبو الفضل، **نظم اللآلي بالمائة العوالي**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، 1410هـ/ 1990م.

- ابن عطيّة الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط 1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1422هـ.
- العلائي صلاح الدين، **بغية الملتمس في سباعيّات حديث الإمام مالك بن أنس**، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط 1، عالم الكتب، بيروت، 1405هـ/ 1985م.
- الغامدي، **الإيمان بين السلف والمتكلّمين**. ط 1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنوّرة- السّعوديّة، 1432هـ/ 2002م.
- الفيض الكاشاني، **التفسير الأصفى**، ط 1، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، 1418هـق/ 1376هـش.
- ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، ط 3، دار الكتب العلميّة، لبنان، 1424هـ/ 2003م.
- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم إطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة- مصر، 1384هـ/ 1964م.
- القشيري عبد الكريم بن هوازن (ت. 465هـ)، **لطائف الإشارات المعروف بتفسير القشيري**. تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط 3، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر، د.ت.
- القمّي، **تفسير القمي**، تصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف، قم- إيران، 1387هـ.
- ابن كثير الإمام أبو الفداء (701هـ-774هـ/ 1302م-1372م)، **تفسير ابن كثير**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1419هـ.
- ابن كثير، **قصص الأنبياء**، تحقيق: أبي عمار مراد بن عبد الله، ط 1، دار السلام، دار العدنان للطباعة، د.ت.
- الكرماني أبو القاسم برهان الدين، **غرائب التفسير وعجائب التأويل**، مؤسّسة علوم القرآن، بيروت، دار القبلة للثقافة الإسلاميّة، جدّة، د.ت.
- الكسائي، **بدء الخلق وقصص الأنبياء**، تحقيق ودراسة: د. الطاهر بن سالمة، دار نقوش عربية، تونس، 1998م.
- لجنة من العلماء، **التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس**. القاهرة- مصر. 1997م.
- الماوردي، **النكت والعيون**، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان.
- محمّد السند، **أسس النظام السياسي عند الإمامية**، تحقيق: محمد حسن الرضوي ومصطفى الإسكندري، ط 1، باقيات، مكتبة فدك، قم- إيران، 1426هـ.
- محمّد عابد الجابري، **تكوين العقل العربي، ط 2**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1985م.
- محمّد كريم الكوّاز، (جامع ومقدّم)، **المبتدأ في قصص الأنبياء**. لابن اسحاق، ط 1، الانتشار العربي، بيروت، 2006م.
- مقاتل بن سليمان البلخي، **تفسير مقاتل**. تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1423هـ.
- النسفي أبو البركات، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل المعروف بتفسير النسفي**، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط 1، دار الكلم الطيب، بيروت، 1419 هـ/ 1998م.

- النويري، شهاب الدين، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، ط 1، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، 1424هـ/ 2004م.

- هاشم البحراني، **البرهان في تفسير القرآن**، مؤسّسة البعثة، قم، د.ت.

- الهرري، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ط 1، دار طوق النجاة، بيروت- لبنان، 1421 هـ/ 2001 م.

- الواحدي، أبو الحسن، **التفسير البسيط**، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1430هـ.

- ابن الوزير أبو عبد الله محمّد (ت. 840هـ/1437م)، **إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد**، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1987م.

- Baruch Halpern, «David», in *Encyclopedia Judaïca,* Second Edition, (Thomson Gale, Vol 5, 2007).

- David Flusser, «David», in *Encyclopedia Judaica*, 2nd edition, (New York: Thomson Gale, 2007), vol. 5, p 454.

- Enns, Peter, *Inspiration and Incarnation: Evangelicals and the Problem of the Old Testament.* (Grand Rapids: Baker. 2005, 2015).

- F.B. Meyer, *Through the Bible Day by Day A Devotional Commentary*, 1913, 2Samuel 11: 1-13; Henry Matthew (1662-1714), *Commentary on the Whole Bible (Genesis to Deuteronomy),* Grand Rapids, MI: Christian Classics Ethereal Library, 2000, 2Samuel 11: 1.

- Howard Schwartz, *Tree of souls The Mythology of Judaism,* (New York: Oxford University Press, 2004).

- Isaac Hasson, «David», in *Encyclopedia of the* Qur'an, (Leiden: Brill, 2001).

- Jan P. Fokkelman, "David", in *Harper's Bible Dictionary*. 1st ed. (San Francisco: Harper & Row, 1985).

- Jonathan M. Golden, *Ancient Canaan and Israel*, ABC-CLIO's Understanding Ancient Civilizations, (California: Santa Barbara, 2004).

- Khoury, R. G., *Les Légendes prophétiques dans l'Islam depuis le 1er jusqu'au III siècle de l'Hégire, d'après le manuscrit d'Abu Rifa'a 'Umara b. Watima b. Musa b. al-Furat al-Farisi al-fasawi Kitab Bad al- Ḥalq wa Qiṣaṣ al- Anbiya*, (Otto Harrassowitz Wiesbaden, 1978).

- Mohammed, Khaleel, *David in the Muslim Tradition: The Bathsheba Affair.* (Lanham MD:

Lexington Books. 2015), p 65, 80, 195.

- Paul Borgman, *David, Saul, and God Rediscovering an Ancient Story*, (New York: Oxford University Press, 2008).

- Steven L McKenzie, *King David: a biography*, (New York: Oxford University Press, 2000).

- T. H. Jones, "David", in *The New Bible Dictionary,* 3rd ed. (Leicester, England; Downers Grove, Ill.: Inter Varsity Press, 1996).

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2017

All rights reserved © 2017